

## الهوية البشرية وأخلاقيات البيولوجيا

### في فلسفة ديفيد ديجرازا

د. هناء صبري محمد عبد الناصر

مدرس الفلسفة المعاصرة

كلية الآداب- جامعة الفيوم

### الملخص العربي:

يلقي هذا البحث الضوء على أخلاقيات البيولوجيا في فلسفة الفيلسوف الأمريكي ديفيد ديجرازا (١٩٦٩-) وعلاقة الهوية البشرية بالتحسينات الوراثية والأخلاقية، حيث يتناول العديد من القضايا الفلسفية الهامة ومنها: أخلاقيات الإجهاض والإنجاب والتحسين الوراثي والخُلقي.

يتبنى ديجرازا وجهة النظر البيولوجية والتي تستند على أننا في الأساس حيوانات أو كائنات بشرية، لذا يجب فهم أصولنا ومعايير هويتنا العددية أي استمرار وجودنا بمرور الوقت من منظور بيولوجي. ويعرض ديجرازا للحجج المختلفة المؤيدة للإجهاض والمناهضة للإجهاض ووجهة نظرة الفلسفية.

يفرق ديجرازا بين التحسين الوراثي والأخلاقي والعلاج الطبي، مؤكداً أنه لا يوجد خطأ في التعامل مع التحسين الوراثي أو الأخلاقي طالما أن هناك تنظيمًا معتدلاً يقلل من مخاطر التحسين الوراثي والخُلقي على المدى الطويل.

## Human Identity and Bioethics in David DeGrazia's Philosophy

### Abstract:

This paper sheds light on bioethics in the philosophy of the American philosopher David DeGrazia (1969-) and the relationship of human identity to genetic and ethical enhancements. It deals with awareness of important philosophical issues, including the ethics of abortion and reproduction and genetic and moral enhancements.

DeGraZia adopts the biological point of view, which is based on the fact that we are fundamentally animals or human beings. Therefore, our origins and criteria for numerical identity, that is, our continued existence over time, must be understood from a biological perspective. Degrazia presents various pro-abortion and anti-abortion arguments and a philosophical viewpoint.

Degrazia differentiates between genetic and moral enhancements and medical therapy, stressing that there is nothing wrong with dealing with genetic or moral enhancements as long as there is a moderate regulation that reduces the risks of genetic and moral enhancements in the long term.

## مقدمة:

يقول الفيلسوف الأمريكي ديفيد ديجرازيا (١٩٦٢-) في كتابه "أخلاقيات الخلق": "يتمثل الهدف العام... في إلقاء الضوء على مجموعة من القضايا الأخلاقية المرتبطة بالإنجاب البشري وعلم الوراثة البشري من خلال عدسة الفلسفة الأخلاقية"<sup>(١)</sup>.

يرتبط وجود الأخلاق بوجود الإنسان وفي ظل التقدم العلمي وما نشهده من ثورات علمية وخصوصًا في مجال البيولوجيا من هندسة وراثية والسعي إلى التحسين الوراثي والأخلاقي للإنسان جينيا، فقد بدأ فلاسفة الأخلاق يتناولون مثل هذه القضايا العلمية من الزاوية الأخلاقية لما تثيره من إشكاليات خطيرة تواجه الإنسان. فقد بدأت المخاوف تتزايد مع إجراء المزيد من التجارب العلمية التي قد تهدف إلى محاولات الدمج بين الإنسان والحيوان بشكل ما أو التجارب العلمية على الأجنة وما يرتبط بها من أبحاث الخلايا الجذعية الجينية أو أبحاث الاستنساخ العلاجي، والخوف من تعالي الأصوات العلمية وتسارع مثل هذه التجارب دون مراعاة للأخلاقيات تحت مسمى الحرية العلمية للبحث العلمي. وهكذا، يتناول هذا البحث الرؤية الفلسفية للأخلاق البيولوجية للفيلسوف الأمريكي ديفيد ديجرازيا من خلال ربطه بين الهوية البشرية والأخلاق البيولوجية، ويمكن تحديد رؤيته الفلسفية من خلال الإجابة على التساؤل الفلسفي التالي: هل يمكن الاستمرار في أبحاث الأجنة والتحسين الوراثي والأخلاقي في حال تهديدها للهوية البشرية؟ وهل يشكل التحسين الوراثي تهديدات غير مقبولة أخلاقيا على الطبيعة

(1) David DeGrazia. (2012). Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life, Oxford: Oxford University Press, P. 4.

البشرية؟ وبالتالي تتحدد أهمية البحث في كونه محاولة للإجابة عن التساؤلات الفلسفية التالية:

١- ما العلاقة بين الهوية الرقمية وأخلاقيات البيولوجيا؟

٢- على ماذا يتوقف الإجهاض أخلاقيا؟

٣- هل التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لارتباطه بالهوية البشرية؟

٤- ما العلاقة بين التحسين الوراثي وتهديد الطبيعة البشرية؟

٥- هل من الجائز التحكم في أخلاق البشر من خلال التحسين؟

ومن ثم، تحاول الباحثة تقديم إجابات عن هذه التساؤلات من خلال الاعتماد على المنهج التحليلي النقدي المقارن، موضحة رؤية الفيلسوف تجاه العلاقة بين الهوية البشرية وأخلاقيات البيولوجيا وتحليل أنواع الهوية، ومفهوم التحسين الوراثي والخُلقي واختلافهم عن العلاج الطبي.

ينقسم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الباحثة:

أولاً: الهوية العددية والهوية السردية.

ثانياً: أخلاقيات الإجهاض.

ثالثاً: أخلاقيات الإنجاب.

رابعاً: أخلاقيات التحسين الوراثي والخُلقي.

خامساً: الخاتمة.

## أولاً: الهوية العددية والهوية السردية:

يرتبط وجودنا الإنساني بهويتنا الإنسانية، ولكن أي هوية إنسانية؟ هل الهوية الثابتة وراء كل التغييرات التي تطرأ على الإنسان؟ أعني الهوية التي تؤكد على كون الذات الإنسانية هي نفسها عبر كل الأوقات المختلفة، وتكون جواباً للسؤال التالي: ما معايير استمرار وجود الشخص بمرور الوقت؟ ما الذي يجعل الشخص نفساً واحدة مع مرور الزمن؟ أم الهوية التي تكون جواباً لسؤال آخر عن: من أكون؟ لقد تناول ديجرازيا إشكالية الهوية الإنسانية لارتباطها بالأخلاقيات: هل تتغير هويتنا الإنسانية بما يطرأ في مجالات الطب الحيوي من تحسينات للذات الإنسانية سواء تحسين طبي للجانب البيولوجي أو الجانب الأخلاقي؟ هل تبقى هويتنا الإنسانية في ظل هذا التقدم العلمي كما هي أم قد توجد كائنات بشرية لها هوية مختلفة تماماً عنا وتمتاز بخصائص تجعلها تتفوق علينا وتمثل تهديداً لوجودنا البشري؟ هكذا، تطرح فلسفة ديجرازيا رؤية محددة واضحة عن مفهوم الهوية وعلاقتها بالأخلاق التطبيقية.

وهكذا، يجب أولاً تعريف: ما هي الهوية؟ هي لفظ مشتق من الهو كما تشتق الإنسانية من الإنسان. وهوية الشيء هي عينيته وتشخصه وخصوصيته التي ندركها بالجواب عن السؤال "ما هو؟"<sup>(٢)</sup>. وتعرف الهوية بأنها ذات الكائن من جهة ما هو هو، أو من جهة ما هو ذاته برغم التغير، أو من جهة ما يتفرد به في الوجود فيتميز عن غيره، تعني الهوية عند هيوم ثبات الانطباعات وتشابهاها في أزمنة متباينة الأمر الذي يدفعنا إلى القول بأن كل انطباعات مماثل للآخر<sup>(٣)</sup>.

(٢) جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، ٢٠٠٤، ص ٤٩٤.

(٣) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٧٦٢.

يفضل ديجرازيا مصطلح الهوية البشرية human identity على مصطلح الهوية الشخصية personal identity، أننا في الأساس حيوانات بشرية وتتجسد هويتنا البشرية في تماثل الحياة البيولوجية لدى البشر جميعاً، وينكر كوننا في الأساس أشخاصاً أو عقولاً. فمن جهة، يرفض ديجرازيا وجهة النظر الشخصية في تفسير الهوية البشرية واصطلاح الهوية الشخصية، ومن جهة أخرى، يتبنى وجهة النظر البيولوجية أو الحيوانية في تفسير الهوية الشخصية، ولهذا يجب توضيح كل من وجهتي النظر لفهم جانبا مهما من فلسفة ديجرازيا.

#### ١- وجهة النظر النفسية في تفسير الهوية:

إن وجهة النظر النفسية هي النهج الذي تتبعه نظريات مختلفة تفهم الهوية الشخصية بوصفها الاستمرارية النفسية، وهذا يعني توقف هويتنا العددية وفقاً لمذهب الشخصية personalism على شكل من أشكال الاستمرارية النفسية خلال الزمن<sup>(4)</sup>، ويعتبر جون لوك وديريك بارفت من أشهر المدافعين عنها.

يرى لوك أن الهوية الشخصية تكمن في "الوعي نفسه"، وبتعبير أدق تكمن في استمرارية التاريخ العقلي خلال الزمن حيث ترتبط لحظات الوعي الحالية والماضية بالذاكرة، أي أن الإنسان يدرك أنه ذات واحدة على الرغم من الاختلافات التي تطرأ على شخصيته خلال الفترة الزمنية التي يحياها بسبب وعيه العقلي المرتبط بذاكرته التي تجمع له كل لحظات حياته منذ ميلاده حتى اللحظة الحالية، وبذلك يخالف التقليد الفلسفي الذي يرجع الهوية الشخصية إلى تماثل الجوهر sameness of substance، فمن جهة، يعتقد أصحاب المذهب العقلي- مثل ديكارت- بأن كل إنسان "شيء يفكر" أي روح أو جوهر غير مادي ويستمر

(4) David DeGrazia. (2005). *Human Identity and Bioethics*, Cambridge: Cambridge University Press, P.73.

الإنسان كيانا واحدا مهما مرت شخصيته بتغيرات مادامت الروح متشابهة واحدة ثابتة. ومن جهة أخرى، يعتقد أصحاب المذهب المادي بأن الأشخاص جواهر مادية أو أجسام بشرية أو أمخاخ وتكمن الهوية في استمرار الجوهر المادي<sup>(5)</sup>.

وهكذا، يرفض لوك الاقتراح القائل بأن الهوية تكمن في تشابه الجوهر سواء كان جوهرًا ماديًا أو غير مادي، لأن وجهة النظر القائمة على الجوهر تفشل في تفسير معرفة الذات لأنها لا تستطيع تقديم إجابة للتساؤل: كيف يمكن للإنسان معرفة ذاته؟ فهل يعرف الإنسان أنه جوهر ويعرف نوع الجوهر لديه، وهل تقدم معرفته لكونه جوهرًا معرفة ذاته الإنسانية الثابتة وراء التغيرات؟ وفقا لجون لوك تفشل فشلا واضحا في تقديم معرفة الذات المتعلقة بالهوية علي خلاف الهوية الشخصية القائمة على وعي الإنسان بنفسه المرتبط بالحالة العقلية والذاكرة الإنسانية.

وبالتالي، يحدد لوك الهوية الشخصية في الوعي حيث إن الوعي يصنع الهوية الشخصية<sup>(6)</sup>، يصاحب الوعي التفكير دائما وهو ما يجعل الشخص يمتلك الذات ويميزه عن كل الأشياء الأخرى التي يفكر فيها، وبذلك تتكون الهوية الشخصية من تماثل الكائن العقلاني: وبقدر ما يمكن أن تمتد الوعي إلى الوراء أي إلى أي فعل أو فكر سابق، فإنه يصل إلى هوية ذلك الشخص أي الذات نفسها<sup>(7)</sup>.

ويؤيد تصور الهوية الشخصية الفيلسوف ديريك بارفت حيث يتوقف وجود الشخص لديه على وجود المخ والعقل فقط ووقوع سلسلة من الأحداث الجسدية

(5) Ibid, P.13-14.

(6) John Locke.(1999). An Essay Concerning Human Understanding, The Pennsylvania state University, P.319.

(7) Ibid,P.319.

والعقلية المترابطة، وإذا كان وجود الشخص يستحيل بدون الجسد إلا أن هويته الشخصية خلال الزمن تعتمد علي علاقاته النفسية وفي ذلك الصدد يقول: "تدخل معظم العلاقات المهمة ضمن نطاق الاستمرارية النفسية psychological continuity المشتملة على الاستمرارية السببية. وبالتالي أعتقد أننا نستخدم لغة الهوية الشخصية للإشارة إلى مثل هذه الاستمرارية... إن الاستمرارية النفسية توفر معياراً للهوية"<sup>(٨)</sup>.

يرى بارفت أنه إذا كانت الاستمرارية الجسدية ضرورية للهوية الشخصية، فإنه لا يقصد بها استمرارية الجسد كله ولكن استمرارية المخ، يمكن مع التقدم العلمي في مجال الطب زرع أعضاء الجسم وبترها واستبدال أو فقد أجزاء من الجسم ولكننا لازلنا مستمرين ولنا هوية شخصية، أما وضع المخ مختلف تماماً فقد نفقد جزءاً منه ونبقي على قيد الحياة ولنا هوية شخصية لأن المخ لا يزال يدعم الاستمرارية النفسية، ولكن في بعض الأحيان قد لا يدعم المخ أي شكل من أشكال الاستمرارية النفسية ومن ثم لن يحافظ علي الشخص كذات واحدة مستمرة.

#### أ- مميزات وجهة النظر النفسية<sup>(٩)</sup>:

١- يتوافق هذا النهج مع افتراضنا بأن لدينا معرفة بهويتنا خلال الزمن، وتعتبر الذاكرة والتوقع من مصادر معرفتنا بهويتنا بالإضافة إلى كونهما من مكونات هويتنا. علي النقيض من ذلك، إذا تكونت هويتنا من تشابه الجوهر الروحي فإن معرفة هوية المرء ستكون غامضة.

(8) Derek Parfit. "Personal Identity", The Philosophical Review, Vol.80, No.1 (Jan.,1979),PP.3-27, P.11-12.

(9) David DeGrazia. *Human Identity and Bioethics*, P.19-22.



٢- يتوافق هذا النهج مع معظم حدسنا حول الهوية فما يحدد الهوية الشخصية الاستمرارية النفسية للشخص، فإذا افترضنا القيام بزراع مخ شخص ما في جسد شخص آخر، فإن المخ سيحلب معه الهوية الشخصية لصاحبه وما يحمله بداية من الهوية التعريفية وصولاً إلى ذكريات الحياة ولا أثر يذكر لهوية صاحب الجسد.

٣- يتناسب الإيمان بالحياة الآخرة مع النظريات النفسية. يعتقد من يؤمن بوجود الحياة الآخرة أن استمرار الحياة العقلية للفرد بعد موته- سواء بجسد أو بدون جسد- يستلزم بقاء الشخص ذاته ونفسه دون غيره من البشر وكأنها تحمل البصمة الشخصية للذات الإنسانية، وبينما قد يفترض المفكر التقليدي أن الروح هي وسيلة ضرورية للاستمرارية النفسية بعد الموت، فيبدو أن تشابه الحياة العقلية هو الشرط الأكثر بروزاً أو حاسماً للبقاء الشخصي.

#### ب- نقد وجهة النظر النفسية:

يرفض ديجرازا تصور وجهة النظر النفسية في تفسير الهوية البشرية ويستند رفضه علي ما يلي<sup>(١٠)</sup>:

١- لا ترتبط هويتنا العددية أي بقاءنا على قيد الحياة بالاستمرارية النفسية على الإطلاق، قد يصاب الإنسان بالاضطراب النفسي ويفقد كل صلة بماضيه ولا يستطيع أحد إنكار هويته العددية، بل الأكثر من هذا لا ننكر على المصاب بالجنون هويته العددية . حقا نحن كائنات عقلية لديها القدرة على الوعي لكن لا تكمن في الاستمرارية العقلية أو النفسية هويتنا العددية.

٢- **وجهة النظر البيولوجية عند ديجرازا:** تؤكد النظرة البيولوجية أننا في الأساس حيوانات بشرية ذات ظروف بيولوجية ثابتة، يعتمد استمرارنا في

---

(10) Ibid, P.24.

الوجود على استمرار الحياة البيولوجية فقط دون غيرها من أشكال الحياة الأخرى مثل الحياة النفسية. يبحث ديجرازا عن معايير للهوية التي يحدد أصلنا ونوعنا الأساسي ويضرب مثالا توضيحيا لما يقصده فإذا سألنا شخص ما: من أنت؟ وجاء الجواب أنا حيوان وشخص ورجل وأب وعالم. يجب ملاحظة أن "أبا وعالمًا" لا يعتبران من معايير هويته العديدة حيث يمكن لأي شخص في الوجود الاستمرار في البقاء دون أن يكون أبا أو عالما، ولكن ما يحدد هويته العديدة كونه حيوانا بشريا حيا ويقول ديجرازا مؤكدا وجهة نظره: "نحن البشر حيوانات بشرية حية"<sup>(11)</sup>، فإن استمرار حياة حيوان بشري معين شرط استمراره وكونه حيوانًا بشريًا حيا هو أصلها وجوهرها. يعبر ديجرازا عن ذلك بالصورة التالية: "س خاصية أساسية للشيء إذا كان وجود الشيء متوقفاً عليها، أي لا وجود للشيء بدون الخاصية س. إذا كانت الخاصية س ضرورية وكافية لوجود الشيء فإن س جوهر هذا الشيء"<sup>(12)</sup>.

يتمثل الجانب الثاني من الإطار النظري عند ديجرازا في تفسيره للهوية السردية narrative identity، ففي حين كوننا في الأساس حيوانات بشرية يعتمد استمرارها على استمرار الحياة البيولوجية إلا أننا لدينا الكثير أننا رواة لذواتنا، نفكر في حياتنا وكيف تتكشف وكيف نريدها أن تتكشف، نريد أن نكون قادرين على توجيه مسار حياتنا وخلق أنفسنا بمعنى لعب دورا رئيسيا في تحديد ما نفعله وما نحن عليه. تعد عملية خلق الذات self-creation تعبيرًا عن الاستقلالية السمة التي تكون جزءا مهما من كونك إنسانا. يرى ديجرازا أن القدرات على السرد

(11) Ibid, P.28.

(12) Ibid, P.29.

الذاتي وخلق الذات والاستقلالية جزءا من تعريف الشخصية ويرتبطان باستمرارنا كأشخاص<sup>(١٣)</sup>.

تعتبر الهوية العددية شرطاً مسبقاً للهوية السردية، حيث يتطلب السرد الذاتي وخلق الذات والاستقلالية كياناً أساسياً يروي ويخلق ويعمل وهذا الكيان هو الحيوان البشري. يمكن أن يفقد الإنسان القدرة على السرد أو خلق الذات وربما يتوقف عن كونه شخصا دون أن يتخلى عن وجوده وبقائه، لكن في حال توقف الإنسان عن كونه حيوانا بشريا فقد خرج من دائرة الوجود يقول توضيحا لوجهة نظره: "نحن البشر حيوانات بشرية ولكن لسنا أشخاصا طوآلا وجونا... مع ذلك لا يمكننا الاستمرار في الوجود بوصفنا أشخاصا مالم نستمر في الوجود، تفترض لهذا السبب الهوية السردية هوية عددية"<sup>(١٤)</sup>. وهكذا، فإن الأشخاص البشريون هم: (١) حيوانات بشرية بشكل أساسي. و(٢) رواة ذاتيون يخلقون أنفسهم<sup>(١٥)</sup>.

وبالتالي، الهوية السردية هي إحساس المرء بنفسه بوصفه بطلاً لقصة حياته أو سرده لذاته. يساعدك إحساسك بنفسك على تحديد ما يستحق فعله وأي من الخصائص تخصك. وفي الوقت نفسه، فإن خلق الذات هو التشكيل القصدي والواعي لخصائص الفرد واتجاه حياته. تتبع مشاريع الإبداع الذاتي من الهوية السردية وأثناء قيامها بذلك تستمر في الكتابة وتحرير الروايات التي تتدفق منها<sup>(١٦)</sup>.

(13) Marya Schechtman." *David DeGrazia, Human and Bioethics* , *Human Identity and Bioethics by David DeGrazia, Ethics*, Vol.116,No.2( Jan., 2006),PP. 406-409,P. 406.

(14) David DeGrazia. *Human Identity and Bioethics*, P.13-14.

(15) Ibid , P.14.

(16) Ibid , P.106.

## ثانياً: أخلاقيات الإجهاض:

تعتبر أخلاق الإجهاض من أكثر الموضوعات إثارة للجدال ويرجع ذلك لطبيعتها الشائكة، فهل الإجهاض مسموح به على الإطلاق أم يسمح بالإجهاض المبكر ولا يسمح بالإجهاض إذا كانت الأم في مرحلة متأخرة من الحمل؟ وهل يجب تناول الإجهاض من المنظور الديني أم يتم وضع قواعد أخلاقية عامة لا ترتبط بالدين تنظم الإجهاض؟ يتناول العديد من فلاسفة الأخلاق هذه الإشكالية بعيداً عن المنظور الديني بحثاً عن وضع قواعد أخلاقية عامة تنظم إشكالية الإجهاض، وهذا ما يحاول ديجرازيا القيام به من خلال تناوله لأخلاقيات الإجهاض.

يوضح ديجرازيا رفضه تناول الإجهاض من المنظور الديني حيث إنه لا توجد حججاً دينية مقنعة وعليها اتفاق عام بين الجميع ويؤكد موقفه قائلاً: "لا توجد أطروحات دينية مقنعة يستحيل إنكارها وهذا يعني أنه إذا كانت بعض الأطروحات الدينية صحيحة، ليس من المتوقع تبني الجميع لها على أساس الأدلة المتاحة للجميع. يجب أن تكون الحجة المقنعة عن الإجهاض حجة أخلاقية تتبع من افتراضات من غير المعقول إنكارها. وبالتالي، فإن أي حجة مقنعة ضد الإجهاض يجب أن تكون مقنعة بعبارات غير دينية"<sup>(١٧)</sup>.

يجدر هنا التوقف عند أشهر الحجج المناهضة للإجهاض وأشهر الحجج المؤيدة للإجهاض، وفي هذا الإطار أكتفي بعرض حجة مستقبل مثلنا بوصفها من أشهر الحجج المناهضة للإجهاض وحجة السامري الصالح بوصفها أشهر الحجج المؤيدة للإجهاض.

(17) Ibid , P.280.

أ- مؤيدو الحياة وحجة مستقبل مثلنا: **the future-like-ours** يعتبر الفلاسفة وعلماء الأخلاق البيولوجية حجة مستقبل مثلنا من أقوى الحجج غير الدينية ضد الإجهاض والتي قدمها دونالد ماركيز بهدف وضع أساس أخلاقي لرفض الإجهاض. تستند هذه الحجة على فكرة مقارنة وضع الجنين بوضعنا أخلاقيا لو تعرضنا للقتل وإنهاء حياتنا، من غير المسموح أخلاقيا قتل أي شخص لأنه سيحرم من تحقيق مشاريعه الشخصية ومتعته وأنشطته وتجاربه التي ستجعل من حياته حياة ذات قيمة كبيرة، ومن ثم يعتبر قتل أي شخص جريمة مروعة. فمن المنطلق نفسه سيحرم الإجهاض الجنين - سواء في المرحلة المبكرة أو المتأخرة من الحمل - من مستقبل ثمين مثل مستقبلنا، فكما حصلنا على فرصتنا في الحياة يجب على الأجنة الحصول على فرصتهم في الحياة كي يحيوا مثلنا تماما.

**يوضح ماركيز حجته قائلا:** "يجرم تفسير قيمة المستقبل عمليات القتل لأن حرمان الفرد من جميع طيبات الحياة التي كان سيختبرها إذا لم يتعرض للقتل يجعل هذا القتل خطأ، كما أن الأطفال والكبار الأبرياء لديهم مثل هذا المستقبل القيم. وبناء علي ذلك، طالما أن الأجنة لها مستقبل كبير مثل مستقبلنا فإن إنهاء حياتهم أمر خاطئ تماما"<sup>(18)</sup>. هكذا، يرى ماركيز أن وجهة نظر قيمة المستقبل مقبولة لأنها تضع القتل ضمن فئة الضرر، حيث تقوم القاعدة العامة للحياة الإنسانية على احتواء الحياة الأقصر على عدد أقل من خيارات الحياة مقارنة

(18) Donald Marquis. "Why Abortion is Seriously Wrong: Two Views", The Journal of Philosophy, Apr., 1989, Vol.86, No. 4, PP. 183-202, P. 183.

(19) Ibid, P.4.

بالعمر الأول، يضر قتل شخصاً ما بهذا الشخص لكون حياته أصبحت أقصر، لأن قتل الإنسان يزيد حياته ضرراً.

تقوم هذه الحجة الأخلاقية على مبدأ أخلاقي عام هو: "من الخطأ الجسيم إنهاء حياة بشرية" أو "من الخطأ الجسيم إنهاء حياة طفل"، يوضح ماركيز حجته قائلاً: "إن الإجهاض غير أخلاقي باستثناء حالات نادرة، يعد الإجهاض مسألة خطيرة للغاية تماثل الفئة الأخلاقية لقتل إنسان بالغ بريء"<sup>(١٩)</sup>، يهدف المناهضون للإجهاض لإيضاح موقفهم القائم على فكرة أن الحياة موجودة منذ لحظة الحمل أو أن الأجنة مثل الأطفال أو تمتلك الأجنة خاصية مثل الشفرة الجينية الضرورية والكافية ليكون إنساناً<sup>(٢٠)</sup>، وطالما أن الجنين يمتلك الحياة منذ اللحظة الأولى من الحمل فإن إجهاضه يعني القتل، ومن ثم الإجهاض أخلاقياً يشبه القتل وهو أمر مرفوض تماماً أخلاقياً.

يرفض ماكماهان حجة مستقبل مثل مستقبلنا وفقاً لوجهة نظره عن العقل المجسد والتي تستند على فكرة أننا كائنات في الأساس لها القدرة على الوعي، ولذلك لا يمكن أن يتساوى مستقبل الجنين بمستقبلنا من حيث القيمة لأن أغلب الأجنة التي تم إجهاضها لم يكن لها مستقبل مثل مستقبلنا، لأن القدرة على الوعي لا تظهر إلا في المرحلة المتأخرة من الحمل ومعظم حالات الإجهاض تتم في الشهور الأولى من الحمل ومن ثم فإن عمليات الإجهاض لا تقتل الكائنات التي لها مستقبل ثمين<sup>(٢١)</sup> مثل مستقبلنا.

(20) Donald Marquis. "Why Abortions is Immoral", The Journal of Philosophy, Apr., 1989, Vol. 86, No. 4, PP. 183-202, P. 183.

(21) David DeGrazia. "The Harm of Death, Time- Relative Interests, and Abortion", the Philosophical Forum, Inc, 2007, P. 70.

ب- حجة السامري الصالح: **the good Samaritan argument** تعد حجة السامري الصالح من أكثر الحجج عبقرية في أدبيات الإجهاض، تدعي أن الإجهاض مسموح به حتى إذا كان للأجنة الحق في الحياة. قدمت الحجة جوديث جارفيس طومسون وطورها ديفيد بونين، تفترض التجربة الفكرية الشهيرة استيقاظك على وجودك في مستشفى متصل بعازف كمان يعاني من مرض الكلى وفرصة نجاته تتمثل في بقاءك معه في سرير المستشفى لمدة تسعة أشهر حيث إنك الشخص الوحيد الذي يمتلك فصيلة الدم المناسبة التي يحتاجها عازف الكمان للبقاء حيا وفي حال رفضك البقاء ملتصقا به في المستشفى يفقد حياته، تثبت التجربة الفكرية حق الحياة لعازف الكمان وتثبت في الوقت نفسه عدم اضطرارك على تحمل هذا العبء الكبير لإنقاذ حياته، حيث تعتبر مساعدة السامري الصالح لعازف الكمان أمراً يستحق الثناء ولكنها مساعدة تتجاوز نداء الواجب<sup>(22)</sup>. إن حق الحياة لدي عازف الكمان لا يشتمل استخدام كليتيك وبالتالي لا يوجد تعارض بين حقوقك في الحرية وسلامة الجسد وحقه في الحياة ومن حقك رفض استمرارك في هذا الوضع ومغادرة المستشفى حتى إذا كان نتيجة ذلك وفاة عازف الكمان. وهكذا، تقرر حجة السامري الصالح أنه حتى لو كان للجنين الحق في الحياة طوال فترة الحمل، فإن الحمل غير المرغوب فيه يشبه إلى حد كبير السيناريو الذي يشملك أنت وعازف الكمان: يماثل قرار إنهاء الحمل بالإجهاض قرار عازف الكمان بمغادرة المستشفى.

(22) David DeGrazia. Human Identity and Bioethics, P. 283.

### ج- وجهة نظر ديجرازيا في الإجهاض:

يطرح ديجرازيا إشكالية الإجهاض من خلال مجموعة من تساؤلات حول الوضع الأخلاقي للبشر قبل الولادة ومنها: هل يتمتع البشر قبل الولادة بوضع أخلاقي؟ متي يتمتع البشر قبل الولادة بوضع أخلاقي؟ هل للبشر قبل الولادة الحق في الحياة بحيث لا يجوز قتلهم؟ إذا كانوا يفتقرون إلى الحق في الحياة، هل يؤسس وضعهم التزاماً أخلاقياً بعدم تدميرهم لأغراض تافهة؟<sup>(23)</sup>.

يقدم ديجرازيا إطاراً ثلاثياً يهدف إلى تقديم فهم للوضع الأخلاقي قبل الولادة، ودعم وجهات النظر الليبرالية حول الإجهاض وأبحاث الأجنة يتكون هذا الإطار مما يلي<sup>(24)</sup>:

١- وجهة النظر حول هويتنا العددية وجوهنا وأصولنا.

٢- تفسير أهمية الإحساس للوضع الأخلاقي.

٣- التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت.

#### أ- وجهة نظر الإحساس: the sentience view

يطرح ديجرازيا معياراً هاماً يحدد من خلاله من له الحق في الوضع الأخلاقي، حيث يؤكد على أنه لا يتمتع الكائن البشري بمفرده بالوضع الأخلاقي ولا تمتلك كل الكائنات الحية وضعاً أخلاقياً، إذن ما المعيار الذي يحدد من يتمتع بالوضع الأخلاقي الكامل؟ وهنا يبرز الإحساس بوصفه المعيار لتمتع أي كائن بالوضع الأخلاقي طالما لديه إحساس. وهكذا، أن القدرة على الإحساس تعد كافية لتحقيق المصالح والوضع الأخلاقي، وفقاً لهذا الرأي الكائنات التي تتمتع

(23) David DeGrazia. Creation Ethics, P. 17.

(24) Ibid, P. 17.



بالإحساس- من هم قادرون على الشعور- هي الكائنات التي لها مصالح ويمكن أن تتضرر أو تستفيد<sup>(٢٥)</sup>.

يعتبر ديجرازيا أن التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت ردا مهما على حجة مستقبل مثلنا التي يدعمها مؤيدو الحياة ففي الرد على السؤال: كم يتضرر المرء من الموت؟ يجب تحديد حجم الضرر الناتج عن الموت مقارنة بمقدار الحياة الجيدة التي يخسرها المرء بموته (تقدر الحياة الجيدة من حيث نوعية الحياة ومدة الحياة). إذا نظرنا لموقف مؤيدي الحياة من يتبنون حجة مستقبل مثلنا نجدهم يقررون أن للجنين مستقبلاً مثل مستقبلنا مما يجعل الإجهاض مشابهاً لقتل الأشخاص النموذجيين، تفترض الحجة أن الجنين يمكنه التطور إلى شخص نموذجي والعكس صحيح أيضاً كان كل واحد منا جنينا<sup>(٢٦)</sup>.

يؤكد ديجرازيا أن قبول التفسير الزمني للمصالح النسبية للضرر الناتج عن الموت يدعونا إلى رفض حجة مستقبل مثلنا لأنها غير صحيحة، حيث تفترض الهوية العددية هي الأساس الوحيد للأمور الأكثر أهمية في وجودنا، مما يشير إلى أن تقييم مستقبل الجنين يتم من منظور مدى الحياة. من هذا المنظور، يؤدي الإجهاض إلى خسارة فادحة خسارة مستقبل مثل مستقبلنا، ومن ثم تستنتج حجة مستقبل مثلنا أن الاعتبار الأساسي الكامن وراء خطأ قتل الأشخاص النموذجيين ينطبق أيضاً في حالة الإجهاض، لكن هذا غير صحيح لأن الأجنة وخاصة الأجنة التي لم تصل إلى الإحساس- التي تمثل الغالبية العظمى من حالات الإجهاض- لها مصالح ضعيفة مرتبطة بالزمن للبقاء على قيد الحياة. وهكذا،

(25) Ibid, P. 28.

(26) Ibid, P. 35.

حتى إذا كان للأجنة مستقبل مثل مستقبلنا، لا تبين حجة مستقبل مثلنا إمكانية مقارنة قتلهم بقتل شخص بالغ أو أن للأجنة الحق في الحياة<sup>(27)</sup>.

وبالتالي، يسمح ديجرازيا بإجهاض الجنين ولكن وفقا لمصلحته النسبية حيث إن الأساس الصحيح لتقدير الضرر الذي يلحقه الموت بالجنين الحالي هو التفسير الزمني للمصالح للبقاء على قيد الحياة لكن مصالح الجنين البشري ضعيفة جدا وأضعف من مصلحتك ومصلحتي بسبب غياب الوحدة النفسية<sup>(28)</sup>.

### ثالثاً: أخلاقيات الإنجاب:

يناقش ديجرازيا أخلاقيات الإنجاب في محاولة منه للإجابة على التساؤلات التالية: هل من الخطأ أخلاقيا الإنجاب؟ هل هناك ضوابط أخلاقية تحكم إنجاب الأطفال؟ لقد وضع مجموعة من الأسس الأخلاقية التي تحدد ضوابط الإنجاب معارضا آراء بعض الفلاسفة الذين يعتقدون أن الإنجاب خطأ أخلاقي؛ حيث إن الوجود يحمل الضرر للإنسان وهذا ما ذهب إليه ديفيد بينتار حيث يرى أنه لا ينبغي علينا إنجاب أطفال، المجيء إلى الوجود ضرر جسيم.

يعد بينتار من أصحاب وجهة النظر المناهضة للإنجاب anti-natalist ، ولكنه لا يبني وجهة نظره المناهضة للإنجاب على كراهية الأطفال على العكس من ذلك من باب حرصه على تجنب الأطفال المحتملين والبالغين المعاناة الموجودة في حياتنا، يرى بينتار أن التفكير في قرار الإنجاب نادرا ما يحدث، فلا يفكر معظم الناس في إذا ما كان ينبغي عليهم إنجاب طفل أم لا، ومن ثم يفترق معظم البشر إلى ثقافة التخطيط للإنجاب، يوضح بينتار التوجه الغالب على

(27) Ibid, P. 35.

(28) David DeGrazia. "The Harm of Death, Time- Relative Interests, and Abortion", P. 72.

البشرية بقوله: "عادة ما يكون الإنجاب نتيجة للجنس وليس نتيجة قرار جلب الناس إلى الوجود، من يقرر إنجاب طفل يفعل ذلك لعدد من الأسباب وليس من بينها مصالح الطفل المحتمل ... إن المرء لا يفيد الناس بإحضارهم إلى الوجود ولكن يضرهم دائما"<sup>(29)</sup>.

يلخص بينتار حجته أن الوجود ضرر على النحو التالي: تحدث الأشياء الجيدة والسيئة للأشخاص الموجودين فقط، وهناك عدم تناسق جوهرى بين الأشياء الجيدة والسيئة. ويعد غياب الأشياء السيئة- مثل الألم- أمرًا جيدًا حتى إذا لم يوجد من يتمتع بالخير، على حين يعتبر غياب الأشياء الجيدة مثل السرور سيئًا إذا كان هناك شخص محروم من هذه الأشياء الجيدة. تعني هذه الحجة ضمناً أن تجنب السيء من خلال عدم الوجود إطلاقاً ميزة حقيقية على الوجود ومعاناة الألم والمرض وما شابه ذلك، في حين أن فقد طيبات الحياة في حال عدم الوجود ليس عيباً حقيقياً على الإطلاق<sup>(30)</sup>.

يعارض ديجرازيا وجهة نظر بينتار ومضمونها أنه من الناحية الأخلاقية جميع خيارات الإنجاب حالات غير مشروعة لأن الوجود دائماً ما يمثل ضرراً كبيراً<sup>(31)</sup>. يبني ديجرازيا معارضته لموقف بينتار على النحو التالي<sup>(32)</sup>:

١- يبين ديجرازيا أن الوجود ليس دائماً ضاراً حيث إن معظم حياة البشر على الرغم من احتوائها على أضرار تحتوي على فوائد كافية لتعويض الأضرار.

(29) David Benatar. (2006). *Better Never to Have Been: The Harm of Coming into Existence*, Oxford: Clarendon Press, P.15.

(30) Ibid, P.26-27.

(31) David DeGrazia. "Is It Wrong to Impose the Harms of Human Life? A Reply to Benatar", *Theor Med Bioeth*, (2010), 31, PP.317-331, P.321.

(32) Ibid, P.317-321.

٢- لا يتضرر أحد من الوجود مهما كانت حالته أو ظروفه سيئة، طالما أن تجنب العيب المقصود لا يتوافق مع ظهور الفرد على الإطلاق. لقد قدم ديجرازيا المثال التالي: إذا حملت الأم بطفل ومعلوم لدى الأبوين أنه لديه عيبا كبيرا يتمثل في إعاقة محددة وراثيا أو أن الأبوين مراهقين. لا يمكن القول في هذه الحالات إن الفرد المولود أسوأ حالا مما كان عليه لو أنهما قررا تأخير الإنجاب وهو الخيار المرجح والمفضل من الناحية الأخلاقية، لكن ما يترتب على هذا الخيار ميلاد فرد متميزا عدديا غير الشخص الذي كان سيولد أي سيختلف الشخص، وهنا يفضل ديجرازيا الوجود أو الميلاد ووجود المشكلة الوراثية أفضل من عدم الوجود.

٣- تبني الفرضية المتفائلة optimistic thesis ومضمونها أن معظم حالات الظهور ليست حالات غير مشروعة، وأن المعيار المناسب للحياة التي تستحق الاستمرار هو المعيار المناسب لحياة تستحق البدء أيضا. قد يعتقد البعض أن الحياة بدون طرف ليست سيئة للغاية بحيث تستحق الانتهاء، إنها حياة تستحق الاستمرار في العيش.

من جهة، يضع ديجرازيا الشروط الكافية للإنجاب المسموح به وهي: لا يجوز بدء حياة إلا إذا كان من المحتمل استمرارها، ووجود سبب وجيه لتوقع أن الفرد الذي سيأتي إلى الوجود سيقدر حياته ويستمتع بها ويشعر بالسعادة لكونه على قيد الحياة، مع مراعاة ما يدين به الآباء للأبناء من حياة تستحق العيش و تلبية احتياجاتهم الأساسية والقيام بالمزيد من أجلهم بدون ادعاء التضحية من أجلهم. ومن جهة أخرى، يضع الشروط التي يكون الإنجاب فيها غير مسموح به وهي: في حالات الحياة غير المشروعة والتي يتم التنبؤ فيها بأن الطفل سيحيا حياة

ملئمة بالمعاناة والخلل الوظيفي ولن يعبر عن فرحه بحياته ككل<sup>(33)</sup>، إنها الحياة التي لا تستحق العيش أي لا تستحق البدء ولا تستحق الاستمرار. تعد حالات الحياة غير المشروعة الظروف الوحيدة التي يكون فيها الإنجاب خاطئ. وبالتالي، يرى ديجرازيا أنه من الخطأ الإنجاب في الحالات التي لا تستحق الحياة فيها، في حال كون الطفل سيعاني من الألم والمرض ولن يستمتع بحياته على الإطلاق، ولد كي يعاني فقط.

#### رابعاً: أخلاقيات التحسين الوراثي:

يثير التقدم العلمي العديد من القضايا الفلسفية الأخلاقية المثيرة للجدل منها التحسين الوراثي للسمات البشرية- سواء تحسينات وراثية للجسد أو العقل- والتحسين الأخلاقي. تفهم التحسينات في سياق الطب الحيوي بوصفها تدخلات تهدف إلى تحسين أداء الإنسان أو شكله بما يتجاوز ما هو ضروري لاستعادة الصحة أو الحفاظ عليها، مما يعني أن التحسينات هي تدخلات لتحسين الأداء البشري أو الشكل الذي لا يستجيب لاحتياجات طبية حقيقية<sup>(34)</sup>. وهكذا، يمكن القول إن التحسين تدخل متعمد يهدف إلى تحسين القدرة الموجودة أو اختيار قدرة مرغوبة أو إنشاء قدرة جديدة في الإنسان. والتحسين بهذا المعنى غير مقصور على الأفراد بل يشمل اختيار الأجنة. وبالتالي، لا يتوقف التحسين على التحسين الوراثي للبنية الجسدية أو العقلية للإنسان بل تخطى الأمر ذلك ليمتد إلى التحسين

(33) David DeGrazia. *Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life*, P. 160.

(34) Ibid, P. 62.

الأخلاقي moral enhancement باستخدام وسائل الطب الحيوي أي التحسين البيولوجي الأخلاقي moral bioenhancement<sup>(35)</sup>.

وبالتالي، هل يعد التحسين بهذا المفهوم نوعاً من أنواع العلاج؟ يتعارض مفهوم التحسين مع العلاج: تفهم التحسينات بوصفها تدخلات مصممة لتحسين شكل الإنسان أو وظيفته دون وجود حاجة طبية حقيقية إلى ذلك إذن يختلف النظر إلى التدخل الجيني وفقاً لحالة الفرد، يعد التدخل الجيني علاجاً إذا هدف إلى تقليل آثار الخلل العضلي muscular s-tropy، ولكنه يعد تحسيناً جينياً إذا هدف إلى زيادة العضلات increase muscularity لدى الفرد السليم صحياً. ومن ثم، تعد الجراحة التجميلية وصبغ الشعر وتكنولوجيا الجينات في المستقبل تحسين ذاتي وليس علاج لمرض طبي.

يطرح ديجرازيا سؤالين تدور حولهما إشكالية التحسين الوراثي وهما: ١- هل يعتبر التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لأسباب مرتبطة بالهوية البشرية؟ ٢- هل يشكل التحسين الوراثي تهديداً أخلاقياً للطبيعة البشرية ومن ثم على البشرية؟

يعتقد ديجرازيا أن التحسين الوراثي يرتبط بالهوية العددية، يرى ديجرازيا أن الهوية العددية هي علاقة شيء ما مع ذاته خلال الزمن بحيث يبقى واحداً وذات الكائن. يقدم تفسير الهوية العددية معاييرًا لشيء من نوع معين للاستمرار في الوجود على الرغم من التغيير الذي يطرأ على الشيء. وهكذا، يخضع الشخص لتغييرات هائلة على مر السنين ومع ذلك ينعكس شخص واحد في كل هذه التغييرات التي حدثت. هل سيؤدي التحسين الوراثي إلى الحفاظ على هويتنا

---

(35) David DeGrazia. "Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour", Journal of Medical Ethics, Vol. 40, No.6, (June 2014), PP. 361-386, P.361.

العقدية أم قد يحدث فيها تغييرات جوهرية تخرجنا من طبيعتنا البشرية؟ أو بمعنى آخر هل التحسين الجيني يهدد الطبيعة البشرية؟

يطلب منا ديجرازيا تخيل شخصًا ما خضع لمجموعة من التحسينات الوراثية- مثل اكتسب مناعة ضد فيروس، نقص المناعة البشرية، وتنمية العضلات والتعلم، وتحسين الذاكرة، والتحسين المعرفي بشكل عام، وانخفاض الحاجة إلى النوم، وتأخير الشيخوخة- أي أصبح لديه مناعة ضد مرض الإيدز ويتعلم سريعًا وذاكرته أقوى وأفضل.... إلخ، لكنه يؤكد أن مثل هذه التحسينات الوراثية لا تهدد الطبيعة البشرية حيث إنها لا تحتاج إلى تجاوز الطبيعة البشرية، والسبب وجود بعض البشر يمتلكون هذه الميزات دون خضوع للتحسين الوراثي. فقد نجد بعض البشر يتمتعون بمناعة طبيعية ضد فيروس الإيدز وبعض البشر أطول عمرا من غيرهم وتتأخر مظاهر الشيخوخة في الظهور لديهم، وهكذا، لا تعتبر هذه التحسينات تهديدًا للهوية العرقية للبشر أو للطبيعة البشرية.

وهكذا، يضع ديجرازيا معيارين لما يعتبر تجاوز للطبيعة البشرية وهما: ١- أن يؤدي التحسين الوراثي إلى تغيير واسع المدى منتجًا أفرادًا مختلفين تمامًا في النوع عن بقيةنا. ٢- أن يتجاوز التغيير المقصود الحدود البشرية النموذجية<sup>(٣٦)</sup>. ويقترح وجود نموذجين للبشر بعد دخول التحسين على الطبيعة البشرية وهما ما بعد البشر المحسنين enhanced post-humans وهو نوع جديد يختلف اختلافًا نوعيًا عن الإنسان العاقل بشكل كبير، ومن يخضع للتحسين الوراثي الأخلاقي يطلق عليه ما بعد الأشخاص post persons حيث يتم تمييزهم بوصفهم نوعًا جديدًا من الشخص الأخلاقي، وبالتالي، يتفق ديجرازيا مع الفرضية القائلة بأن التحسينات الوراثية تشكل تهديدًا للطبيعة البشرية، حيث تتجاوز التحسينات الوراثية

(36) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 82.

المتتالية عبر الأجيال التي أنتجت كائنات مثل ما بعد البشر وما بعد الأشخاص الطبيعية البشرية وغيرها تماما وتوجد أنواع جديدة يمثلون قطيعة مع الطبيعة البشرية<sup>(37)</sup>.

### خامساً: التحسين الخُلقي:

يقصد بالتحسين الخُلقي التدخلات التي تهدف إلى تحسين قدراتنا الأخلاقية مثل قدراتنا على التعاطف والإنصاف، بينما يتفق المعلقون على أن العديد من الوسائل التقليدية للتحسين الأخلاقي مثل التعليمات الصريحة ومجموعات رفع الوعي وسائل شرعية ومهمة، فإنهم يختلفون حول ما إذا كانت وسائل الطب الحيوي والوسائل غير التقليدية للتحسين الأخلاقي مرغوبة.

يقدم ديجرازيا بعض الأمثلة على الوسائل غير التقليدية للتحسين الخُلقي ومنها<sup>(38)</sup>:

- ١- الجلوكوز بوصفه وسيلة لزيادة مقاومة إغراء القيام بشيء خاطئ أو التوقف عن محاولة فعل ما يجب على المرء فعله.
- ٢- مثبطات امتصاص السيروتونين بوصفها وسيلة لتقليل الميل إلى الاعتداء على الناس.
- ٣- بروبرانولول بوصفه وسيلة لتقليل التحيز العنصري اللاوعي.
- ٤- اختيار الأجنة التي تمتلك شفرة وراثية من أجل استعداد أكبر للإيثار.
- ٥- اختيار الأجنة أو الهندسة الوراثية كوسيلة لتجنب أو تحييد الجينات المرتبطة باضطراب الشخصية المعادية للمجتمع.

(37) Ibid, P. 82.

(38) David DeGrazia. "Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour", P. 362.



٦- إعداد كروموسوم ذكي اصطناعي يتضمن ترميز جينات متعددة لإدخال مجموعة متنوعة من الفضائل الأخلاقية.

يجيب ديجرازيا في فلسفته على التساؤل المهم: لماذا نلجأ إلى التحسين الحيوي الخلقى ألا تكفي الوسائل التقليدية في تحسين الأخلاق؟ يرى أنه في ضوء التقدم العلمي والتكنولوجي المعرفي والثقافي إلا أننا مازلنا نقدم على ارتكاب الأفعال والسلوكيات للأخلاقية، لا تزال العبودية موجودة في بعض أنحاء العالم والدعارة والعنف وأشكال الاضطهاد الديني والعرقى، ولا يزال هناك احتمال لحدوث إبادة نووية وانتشار أوبئة متعمد حدوثها والأسلحة البيولوجية والإرهاب، إذن هناك خطر حدوث ضرر كارثي يزداد مع تطور تقنياتنا ومعرفتنا التكنولوجية الهائلة. وهكذا، يتضح أن الوضع الأخلاقي مقلق حيث إن وسائل تحسين القدرات الأخلاقية التقليدية مثل الإرشادات الأخلاقية الصريحة والتوجيه والتنشئة الاجتماعية ومجموعات رفع الوعي والأدب ووسائل الإعلام لم تعد كافية وسيزداد الأمر سوءا في المستقبل.

وبالتالي، يعتقد ديجرازيا أنه من الممكن اللجوء إلى التحسين البيولوجي الأخلاقي قائلا: "يمثل الوضع الأخلاقي الراهن إشكالية كبيرة وقد تكون الوسائل التقليدية للتحسين الأخلاقي غير قادرة على تحقيق تحسن مرض، لهذا تستحق إمكانية التحسين الحيوي الأخلاقي اهتمامنا المنفتح"<sup>(39)</sup>.

يواجه تصور التحسين البيولوجي الخلقى العديد من الانتقادات خصوصا في إطار العلاقة بين الحرية والتحسين الخلقى، لذلك يمكن طرح التساؤل التالي: هل هناك مكان للحرية في إطار التحسين الحيوي الأخلاقي؟ يرى جون هاريس إن الحرية تضفي علي السلوك الأخلاقي قيمة كبيرة فلا توجد فضيلة فيما يجب علينا

(39) Ibid, P. 362.

فعله إذا لم تتوافر الحرية على إتيان الفعل الأخلاقي أو إتيان الفعل غير الأخلاقي يقول هاريس: "المسافة بين معرفة الخير وفعل الخير هي منطقة تسكنها الحرية بالكامل. معرفة الخير هو الاكتفاء بالوقوف ولكن حرية هي كل شيء، بدون حرية لا يمكن للخير أن يكون خيرا وتختفي الحرية ومعها الفضيلة"<sup>(٤٠)</sup>.

وهكذا، يقف هاريس ضد التحسين الخلقى قائلا: "لا أعتقد أنه سيكون من المنطقي المراهنة على التحسين الأخلاقي وضد تسريع قدرتنا على التعامل معه"<sup>(٤١)</sup> وذلك من أجل التمسك بحريتنا الثمينة وعلينا الاعتماد على التحسين المعرفي cognitive enhancement في إيجاد الحلول للمشكلات، إن العلم والابتكار وإنتاج المعرفة والتعليم هي أملنا في إيجاد حلول لأكثر مصادر الدمار الشامل تهديدا بالإضافة إلى كونها الشكل الوحيد المثبت من التحسين الأخلاقي حتى الآن. ويبرهن ريس على صحة موقفه بوجهة نظر مارتن ريس حيث إن الشر ليس هو المصدر الأكثر احتمالا للكارثة، فهناك تهديدات لا تخضع للتحسين الأخلاقي مثل الأمراض الجديدة وتغير المناخ والإهمال... إلخ، ومن ثم يجب تبني أشكالاً موثوقة من التحسين المعرفي بوصفها أفضل احتمالات الدفاع عن النفس بما في ذلك أي عنصر من عناصر الدفاع عن النفس الذي قد ينتج في النهاية عن التحسين الأخلاقي"<sup>(٤٢)</sup>.

وبالتالي، ينكر هاريس أن يتضمن التحسين الأخلاقي تدخلات تتجاوز التحسين المعرفي حيث يشتمل التحسين الأخلاقي بشكل أساسي على التحسين المعرفي، وذلك لأن السلوك الأخلاقي يتطلب القدرة على التمييز بين الصواب

(40) John Harris. "Moral Enhancement and Freedom", Bioethics, Vol.25, No.2, 2011, PP. 102-111, P.104.

(41) Ibid, P.111.

(42) Ibid, P.110.

والخطأ- الوعي والقدرة العقلانية<sup>(٤٣)</sup>. إذن ما يذهب إليه هاريس وضع التحسين المعرفي أساسا للتحسين الأخلاقي من أجل الإبقاء على حريتنا التي نتمتع بها. يختلف موقف كل من أنغماز بيرسون وجوليان سافوليسكو عن هاريس حيث يقرران ضرورة إجبار البشر على الخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي خوفا من انتشار السلوك غير الأخلاقي بين البشر مما قد يؤدي إلى حدوث الدمار الشامل للبشرية، يلخصون أطروحتهم على النحو التالي<sup>(٤٤)</sup>:

- ١- من السهل إحداث ضرر كبير أسهل من حدوث المنفعة.
- ٢- مع تقدم العلم الذي يمكن إحداثه بصورة أسرع من خلال التحسين المعرفي، يصبح من الممكن بشكل متزايد لمجموعات صغيرة من الناس أو الأفراد التسبب في أضرار جسيمة لملايين البشر، عن طريق - مثلا - أسلحة الدمار النووية أو البيولوجية.
- ٣- يجب الحذر حتى إذا كان عدد البشر غير الأخلاقيين ضئيل حيث إن وجودهم يكفي لحدوث ضرر واسع النطاق بأسلحة الدمار الشامل التي يمتلكونها، لهذا مازال الخطر قائما إذا لم يتم تحسينهم أخلاقيا بشكل إجباري.
- ٤- ولهذا فإن تقدم العلم وتسريع التقدم العلمي من خلال التحسين المعرفي يزيد من الخطر، ووجب استعمال التحسين البيولوجي الأخلاقي إجباريا. يلخص بيرسون وسافوليسكو وجهة نظرهما في اعتقادهما أنه إذا تم تطوير التحسينات الأخلاقية الآمنة على الإطلاق، فهناك أسباب قوية بضرورة استخدام

---

(43) Ingmar Persson and Other. "The Perils of Cognitive Enhancement and the Urgent Imperative to Enhance the Moral Character of Humanity", Journal of Applied Philosophy, August 2008, Vol. 25, No. 3, PP. 162-177, P.174.

(44) John Harris. "Moral Enhancement and Freedom", P.106.

التحسينات الأخلاقية بشكل إجباري... وهذا يعني أن التحسين الأخلاقي الأيمن والفعال سيصبح إجبارياً.

يعتقد راكبيك بضرورة الخضوع للتحسين الأخلاقي وذلك لأن الأشخاص الذين يعرفون ما هو صواب قد لا يفعلون ما هو صواب دائماً، إن مجرد التحسين المعرفي غير كاف لمنع السلوك غير الأخلاقي الناتج عن ضعف الإرادة الإنسانية، وطالما يمكن أن يختار الناس بحرية الخضوع للتحسين الأخلاقي ولن يتم تقييد حريتنا بواسطته. يتضمن التحسين الأخلاقي الإجباري التنازل عن بعض الحريات إلا أن الإكراه لا ينطوي على خسارة الحرية. فقد يؤدي التحسين البيولوجي الأخلاقي إلى إلغاء حرية التحسين الأخلاقي أم لا، لكنه قد يؤدي في بعض الأحيان إلى ربح حرية من يُكرهون على الخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي، حيث سيقبل احتمال ارتكابهم لأعمال إجرامية ومن ثم لن ينتهي المطاف بهم في السجن. وبالتالي فإن الحرية التي تتيحها الحياة الملتزمة بالقانون تفوق تكلفتها حرية التدخل الإجباري<sup>(٤٥)</sup>. وهكذا، يرجع السبب إلى إجبار البعض على التحسين البيولوجي الأخلاقي إلى أنه في حال جعل التحسين البيولوجي اختياريًا، أن من نرجح ارتكابهم للأفعال غير الأخلاقية ذات النتائج الكارثية قد لا يتطوعون اختياريًا للخضوع للتحسين البيولوجي الأخلاقي.

ومن ثم، يقدم ديغرازيا إجابة للسؤال: هل من الخطأ تهديد الطبيعة البشرية؟ مؤكداً أن تهديد الطبيعة البشرية غير مقبول أخلاقياً<sup>(٤٦)</sup>.

١- قد تؤدي التحسينات الوراثية إلى وجود كائنات تشكل تهديداً للإنسانية غير المحسنة والسبب إما لاعتقادهم أن الإنسانية غير المحسنة تتمتع بوضع أخلاقي أدنى أو لأن في إمكانهم السيطرة على البشر غير المحسنين.

(45) Michael J Segelid. "The Concise Argument Freedom and Moral Enhancement", Journal of Medical Ethics, Vol.40, No.4 (April 2014), PP.215-216, P.115.

(46) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 83.

٢- يتمتع ما بعد الأشخاص بوضع أخلاقي كامل لأنهم كائنات أخلاقية موثوق بها، على حين يتمتع الأشخاص غير المحسنين بوضع أخلاقي أضعف سواء من حيث مكانتهم وحقوقهم الأخلاقية.

٣- قد يؤدي تمتع ما بعد الأشخاص بوضع أخلاقي أعلى إلى استغلال البشر غير المحسنين ويتعرضون للتضحية بهم باسم تعزيز الصالح العام للمجتمع، مما يعني فقداننا للأمان الذي نتمتع به الآن لتمتعنا بوضع أخلاقي كامل حيث لا يوجد من أعلى منا في أي سمات إطلاقاً.

٤- قد يتصرف ما بعد الأشخاص بشكل غير أخلاقي مع البشر غير المحسنين حيث يسيئون معاملتهم مما يشكل خطراً كبيراً، ويعتبر ذلك السلوك أكبر تهديداً يمثله ما بعد البشر الذين يتصرفون بشكل غير أخلاقي تجاه أبناء عمومته من البشر.

وهكذا، هل يرفض ديجرازيا التحسين؟ هل التحسين الوراثي إشكالية أخلاقية لأسباب مرتبطة بالهوية البشرية؟ هل يشكل التحسين الوراثي تهديدات غير مقبولة أخلاقياً للطبيعة البشرية وبالتالي الإنسانية نفسها؟ يجيب بالنفي، ولكنه يرى أن التنظيم المعتدل للتحسين الوراثي للبنية الجسدية والعقلية والتحسين الخلقي للإنسان شرطاً كافياً لعدم رفض هذه التحسينات لأنه يقصد بمفهوم التنظيم المعتدل عدم القدرة على توريث التحسينات في المستقبل، حيث يعد توريث التحسينات الوراثية مسألة خطيرة للغاية لمساهمتها في زيادة الفجوة بين من يملك الجينات المحسنة ومن لا يملك مثل هذه الجينات، ولذلك يرى أن التحسين الوراثي مبرر أخلاقياً ويجب السماح به مع مراعاة جميع الاعتبارات القانونية والسياسية<sup>(٤٧)</sup>.

(47) David DeGrazia. *Creation Ethics*, P. 90-92

## سادساً: الخاتمة:

أولاً: يتبنى ديجرازيا الأطروحة البيولوجية حيث تقوم طبيعة هويتنا البشرية على كوننا حيوانات بشرية يعتمد استمرارها على استمرار الحياة البيولوجية، وتعد هويتنا العددية شرطاً مسبقاً لهويتنا السردية حيث نصنع رواياتنا الذاتية، إن خلق الذات والاستقلالية تتطلب كياناً أساسياً يروي ويخلق وهذا الكيان هو الحيوان البشري.

ثانياً: أتفق مع حجة مستقبل مثل مستقبلنا في رفض الإجهاض إلا في حال خطورة الحمل على حياة الأم ووضع الضوابط الطبية والقانونية المنظمة للإجهاض، حيث أعتقد كما توضح حجة مستقبل مثل مستقبلنا بحق الجنين التمتع بما تتيحه الحياة لهذا الجنين من فرص مستقبلية، وأعارض الإطار التنظيمي الذي وضعه ديجرازيا لقبول حالات الإجهاض المختلفة.

ثالثاً: يجب خضوع التجارب العلمية على الأجنة والبشر للرقابة القانونية الصارمة وإصدار القوانين المنظمة لمثل هذه التجارب ومراعاة الأبعاد الأخلاقية مراعاة تامة.

رابعاً: أتفق مع ديجرازيا في عدم وجود مخاوف من التحسين الوراثي والخُلقي على هويتنا البشرية، حيث لن تتغير هويتنا العددية بوصفنا حيواناً بشرياً إلى آخر، ومن ثم وجوب انفتاحنا على استخدام تقنيات التحسين الوراثي والخُلقي بشرط مراجعة ظروف كل حالة على حده ومعالجة الفوارق الجسدية في الوصول إلى الرعاية الصحية، مع وجوب تنظيم كل ذلك في الإطار القانوني وتحت إشراف طبي صارم .

## المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية:

- 1- David DeGrazia. (2005). *Human Identity and Bioethics*, Cambridge: Cambridge University Press.
- 2- ..... "The Harm of Death, Time- Relative Interests, and Abortion", the Philosophical Forum, Inc., 2007.
- 3- ..... "Is It Wrong to Impose the Harms of Human Life? A Reply to Benatar", Theor Med Bioethics, (2010), No.31.
- 4- ..... (2012). *Creation Ethics: Reproduction, Genetics, and Quality of Life*, Oxford: Oxford University Press.
- 5- ..... "Moral Enhancement Freedom, and What We (Should) Value in Moral Behaviour ", Journal of Medical Ethics, Vol. 40, No.6, (June 2014).

ثانياً: المراجع العربية:

- ١- جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب ، تونس، ٢٠٠٤.
- ٢- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٦.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1- David Benatar. (2006). *Better Never to Have Been: The Harm of Coming into Existence*, Oxford: Clarendon Press.

- 2- John Harris." *Moral Enhancement and Freedom*", *Bioethics*, Vol.25, No.2, 2011.
- 3- Donald Marquis. "Why Abortion is Seriously Wrong: *Two Views* ", *The Journal of Philosophy*, Apr., 1989, Vol.86, No. 4.
- 4- Derek Parfit."Personal Identity", *the Philosophical Review*, Vol.80, No.1 (Jan., 1979).
- 5- Ingmar Persson and Other. *The Perils of Cognitive Enhancement and the Urgent Imperative to Enhance the Moral Character of Humanity*, *Journal of Applied Philosophy* , August 2008, Vol. 25, No.
- 6- Marya Schechtman." *David DeGrazia, Human and Bioethics, Human Identity and Bioethics by David DeGrazia*, *Ethics*, Vol.116, No.2 (Jan., 2006).
- 7- Michael J. Segelid. *The Concise Argument Freedom and Moral Enhancement*, *Journal of Medical Ethics*, Vol.40, No.4 (April 2014).